نحو ستراتيجية لتعزيز السياحة الدينية في العراق (كربلاء المقدسة انموذجاً)

م.م غدير عبد الرسول شواي/ قسم الدراسات السياسية

المقدمة

تعد السياحة جزءاً مهماً في سياسة اي بلد لتحقيق التقدم في كافة المجالات اولها الاقتصادية وما تعود به من نفع مادي للبلد، ناهيك عن الجذب السياحي من جميع الاماكن الذي يساعد على التبادل الثقافي والمعلوماتي، لاسيما السياحة الدينية، فالعراق يضم مراقد دينية متعددة ابرزها-موضوع الدراسة- كربلاء المقدسة وماتعود به زيارة الاربعين من نفع للعراق على كافة المستويات واهمها الاقتصادية، فضلاً عن ما تتمتع به محافظة كربلاء من مميزات ساعدت ان تكون مكان جذب روحي من جميع انحاء العالم.

المبحث الاول: مفهوم السياحة الدينية

تعد السياحة الدينية فرعاً مهماً من فروع السياحة إذ تعرف على إنها الانتقال لزيارة الأماكن ذات التاريخ الديني التي تعد زيارتها نوعاً من ممارسة التعاليم الدينية كالحج والعمرة إلى بيت الله الحرام، فضلاً عن زيارة المناطق الدينية من مساجد كبرى ومعابد تاريخية أو لإحياء مناسبات دينية كبيرة ، أو هي نوع من السياحة التي تكون بوازع ديني يجعل من زيارة الأماكن المقدسة حاجة ضرورية للزائر ، كما تتضمن السياحة الدينية آداب يستحسن مراعاتها من طرف السائحين تفادياً للوقوع في المحظورات التي نهى عنها الإسلام، ويمكن القول أن السياحة الدينية نشاط إنساني يرتبط بالعبادة وينبغي أن يتقيد السائح فيها بجملة من التعاليم والأدلة الشرعية منها عدم ترك واجب ديني كالصلاة والمبالغة في الإنفاق على حساب عائلته، وتشمل السياحة الدينية كافة المناسبات الدينية والمهرجانات والطقوس العبادية، وتقتصر على المناطق ذات التاريخ القديم الذي يجذب السياح من كافة أنحاء العالم، وتختص السياحة الدينية بعملية إشباع الحاجات الروحية للأفراد أو ما يدعى بالباعث الروحي. وهي من أقدم أنواع السياحة وأكثرها اتساعاً، والسياحة الدينية تجمع عوامل عديدة منها اقتصادية واجتماعية وثقافية وديموغرافية وتكنولوجية وسياسية، فهي مهمة في حياة البشر، وتحقق الاتصال الروحي بين الإنسان وخالقه من الأماكن المقدسة، وتعد المراقد المقدسة أبرز المعالم السياحية الدينية في

العراق التي أضيفت إليها مسيرة الأربعين بحجمها الحالي بعد عام ٢٠٠٣ التي تستمر أكثر من (٢٠) يومياً ويقطعها الزائر من اقصى جنوب العراق عند رأس البيشة على ساحل الخليج، وكذلك من كركوك في شمال العراق، والوصول إلى مدينة كربلاء التي تقام فيها فعاليات الزيارة لعدة أيام، ومما لاشك فيه أن الدول التي تتواجد فيها عروض سياحية دينية تهتم بشكل كبير بتمية هذا القطاع لإثارة الاقتصادية والاجتماعية. وهذا النوع من السياحة إذا ما استغل بالشكل الصحيح، وضمن مفهوم وقواعد تنشيط الحركة السياحية في العراق، فإنه يشكل نسبة عالية من الإنفاق السياحي، ويكوّن بعد ذلك رافداً من روافد الدخل القومي.

المبحث الثاني: دور كربلاء المقدسة في تعزيز السياحة الدينية

بعد سقوط النظام السابق والتغيير الذي حدث عام 2003، شهدت هذه المسألة انفتاحاً كبيرا غير مسبوق منذ تأسيس الدولة العرقية الحديثة عام 1921م، حيث تصاعد مؤشر أعداد الداخلين للمدن الدينية بدءاً من زيارة كربلاء في أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) عام 2004 بأعداد تجاوزت 3 ملايين زائر، والى عدد الزائرين في الأربعينية عام 2018 والذي بلغ أكثر من 15 مليون زائر محلي وأجنبي، وفق ما ذكره موقع العتبة الحسينية الرسمي، ثم المعدل المقارب للرقم الاخير لأعداد الزائرين في عامي 2019 و 2020 رغم تحديات جائحة كورونا، الا انها اصبحت مورداً اقتصادياً يضاهي مورد النفط، مما يساعد على تخليص العراق من اقتصاد المورد الواحد ويبعده عن تقلبات أسواق النفط العالمية، وتعد السياحة الدينية في كربلاء العمود الفقري لانتعاش اقتصاد هذه المدينة.

ان هذه الأرقام الكبيرة حتى على مستوى السياحة العالمية، تمثل رافداً حيوياً للنمو الاقتصادي على مستوى الدخل القومي للدولة إذا ما تم استخدامها بصورة مثلى.

لكن توظيف السياحة الدينية والاهتمام بها وتطويرها لخدمة النمو وتحريك عجلة الاقتصاد لا يتم تطبيقه واقعياً لعدة أسباب ما زالت الحكومات المحلية تتذرع بها منذ 17 عاماً، وتتوزع الأسباب ما بين قلّة التخصيصات المالية بسبب توجيه امكانيات الدولة نحو مكافحة الارهاب والحرب على تنظيم داعش، وما بين اجراءات التقشف التي تبعت انهيار اسعار النفط، والإجراءات البيروقراطية وقصور قانون الاستثمار، وشبهات الفساد التي أخذت تطال أغلب المشاريع، مضافاً اليها قلّة الخبرات في شركات الإعمار والبناء وعدم الاستعانة بالشركات

الأجنبية المتخصصة، كما تصطدم ببعض الاقتصاديين القائمين على السياحة الدينية في الحكومة المركزية وهيمنة بعض المنظمات المشرفة على زيارات الإيرانيين وحتى غير الإيرانيين من البلدان الإسلامية الأخرى.

وفي ظل هذه الظروف المعقّدة، استطاعت العتبات المقدسة بإمكانات ذاتية ومساعدة محدودة من الحكومة أن تردم بعض من هذه الهوّة المتّسعة بين الواقع والطموح فيما يخص ايجاد ركائز ومقومات للسياحة الدينية، وتطوير للبنى التحتية والموارد البشرية، حيث كان للعتبات المقدسة في كربلاء دور كبير في اقامة المشاريع الخدمية التي تهدف لراحة الزائرين وتقديم الخدمات المتنوعة لهم، فضلاً عن تبنيها لمشاريع صحية وتعليمية وتربوية وإعلامية، وصولاً الى إقامة مشاريع زراعية ومراكز تنمية بشرية وإرشاد ورعاية أُسرية، حين لم تجد مبادرات حكومية توازي ذلك التعاظم في القيمة المكانية للمدينة المقدسة.

وتبرز في كربلاء مشاريع مهمة يلمس المتتبع من خلالها تحولاً جذرياً في النظرة السائدة عن المدن المقدسة بأنها فقط أماكن للعبادة، فقد نفذت العتبة الحسينية المقدسة سلسلة من مشاريع متنوعة تهدف لخدمة السياحة الدينية من جهة، وخدمة وتنمية المجتمع المحلي من جهة ثانية.

وعلى سبيل المثال الذي يتعلق بمدينة كربلاء المقدسة فقط، أنشأت العتبة الحسينية:

1- ثلاث مدن للزائرين في مداخل مدينة كربلاء الرئيسية، تحتوي على كافة المرافق الخدمية والصحية، ويجري الاستفادة منها في مبيت الزائرين وخاصة في الزيارات المليونية، وتوفير خدمة فندقية بأسعار مدعومة وقاعات لإحياء المناسبات وإقامة الفعاليات الثقافية والعلمية المختلفة، فضلاً عن الاستفادة منها في اجراءات الحجر الصحي لمصابي كورونا طوال العام الماضي.
2- أربع مستشفيات كبيرة تقدّم خدمات صحية مدعومة وبأفضل المواصفات العالمية، من ناحية التجهيز الطبي واستقدام الكوادر الطبية المتخصصة من أنحاء العالم وبأسعار تنافسية.
3- مطار كربلاء الدولي.
4- معهد لمعالجة مرض التوحّد، يعد الاول من نوعه في العراق من ناحية الحجم والاستيعاب والتخصص الدقيق، وإنشاء معاهد أخرى مماثِلة في عدد من المحافظات.

5- سلسلة من مؤسسات التعليم تبدأ بمدارس رعاية الأيتام، ورياض الأطفال والمدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ومعهد تعليم المكفوفين وضعاف البصر، وصولاً لإنشاء جامعتَي الوارث والزهراء اللتان تستقطبان الطلبة من داخل العراق وخارجه.

6- دار القرآن الكريم، ومدرسة الإمام الحسين الدينية ومعاهد الدراسات الدينية، وقد تم تسجيل مئات من الطلبة فيها من داخل البلد وخارجه.

7- مزرعة للمحاصيل الحقلية على مساحة 1000 دونم، وأخرى لإكثار النخيل بمساحة 400 دونم، ومجموعة من المشاتل الزراعية، ومحطات لتربية المواشي وسلسلة من حقول الدواجن وبحيرات الأسماك، ومحطات مجانية عديدة لتحلية وتعقيم المياه في أحياء ومناطق متفرقة من المدينة ومداخلها.

8- مشروع صحن العقيلة، الذي يجري إنشاؤه على مساحة 52 ألف م2، تضم نفقين لمرور السيارات ومضيف ومكتبة ومتحف، وسوق يتم إعادة بنائه، وأماكن استراحة مزودة بكافة الخدمات.

9- سراديب أُنشأت وأخرى قيد الإنشاء داخل الصحن الحسيني، توفِّر أماكن اضافية للزائرين بمجموع مساحة يبلغ 4000 م2 .

10- مراكز متخصصة لرعاية الشباب والاطفال والفتيات، وأخرى للتنمية البشرية، ومراكز للبحوث والدراسات وحفظ التراث ومعالجة المخطوطات.

11- أسطول نقل داخلي مجاني خاص بالمدينة القديمة والعتبات المقدسة، ومثلهُ لخدمات السياحة خارج محافظة كربلاء بأسعار مناسبة مقارنة مع القطاع الخاص.

12- وآخر هذه المساهمات الكبيرة هي تبنّي العتبة الحسينية لإنشاء مراكز شفاء خاصة بمصابي جائحة كورونا داخل كربلاء وفي العاصمة بغداد وكذلك في عدة مدن اخرى حتى بلغ عدد تلك المراكز 12 مركزاً.

الخاتمة

بعد عام 2003 شهد العراق حرية زيارة العتبات المقدسة واحياء الشعائر الدينية وقد نص الدستور على ذلك، لذلك كان لكربلاء المقدسة الاثر الاكبر في احياء هذه الشعائر التي اصبحت وجهة للقادمين من جميع الدول لزيارة الاربعين، وقد تمكن القائمين على هذه المحافظة المقدسة من تحقيق تقدماص ملموساص فيها يشهده كل من ذهب لزيارتها، فقد تغلبت على العقبات التي وضعتها او تحججت بها الحكومات المتعاقبة.

المصادر:

1- حسين قاسم محمد الياسري، زيارة الاربعين واثرها في تنمية السياحة الدينية في العراق، وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الاربعين المباركة، مجلة السبط، العدد(2)، 2019، كربلاء المقدسة.

2- عمر ياسر كطان، المنشآت السياحية والسياحة الدينية في العراق، مجلة كلية الادارة والاقتصاد للدراسات الاقتصادية والادارية والمالية، العدد(8)، 2013، جامعة بابل، كلية الادارة والاقتصاد.

3- جعفر طالب احمد، زينب علي داشور، السياحة الدينية واثرها في الدخل القومي العراقي،

4- محسن حسن، السياحة الدينية في العراق: الواقع والمأمول –دراسة وصفية-، مركز البيان للدراسة والتخطيط، بغداد،2018.

5- رياض الجميلي، **تنمية السياحة في مدن العراق الدينية (كربلاء نموذجا)** ، على الموقع الالكتروني: http://www.alhakeem-iraq.net/

6- صباح الطالقاني، السياحة الدينية وسبل تطويرها.. كربلاء أنموذجاً، اخبار وتقارير، وكالة كربلاء الدولية، على الموقع الالكتروني: https://imhussain.com/